

حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي ظِلَالِ النَّبُوءَةِ

تنقسم حياة رسول الله ﷺ بعد أن شرفه الله بالنبوة والرسالة إلى عهدين يمتاز أحدهما عن الآخر تمام الامتياز وهما:

العهد المكي: ثلاث عشرة سنة تقريباً .

العهد المدني: عشر سنوات كاملة .

ثم يشتمل كل من العهدين على عدة مراحل لكل مرحلة منها خصائص تمتاز بها عن غيرها .

ويمكن تقسيم العهد المكي إلى ثلاث مراحل:

١- مرحلة الدعوة السريّة ثلاث سنوات .

٢- مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة: من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى هجرته ﷺ إلى المدينة .

٣- مرحلة إعلان الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم من أواخر السنة العاشرة من النبوة وقد شملت العهد المدني وامتدت إلى آخر حياته ﷺ .

أما مراحل العهد المدني فسيجيء تفصيلها في موضعه^(١) .

المرحلة الأولى: الدعوة سرا

ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ مِنَ الدَّعْوَةِ السَّرِيَّةِ:

بدأ النبي ﷺ يستجيب لأمر الله بعد نزول ما تقدم من آيات سورة المدثر - فأخذ يدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام ؛ ولكنه كان يدعو إلى ذلك سرا حذرا من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيها فلم يكن ﷺ يظهر الدعوة في المجالس العمومية لقريش^(٢) .

الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ:

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولاً على الصق الناس به من

(١) الرحيق المختوم ص ٧٣ .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٧٥ .

أهل بيته وأصدقائه فدعاهم إلى الإسلام ، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه ، يعرفهم بحب الحق والخير ، ويعرفونه بتحرى الصدق والصلاح ؛ فأجابه من هؤلاء جمع عرفوا في التاريخ الإسلامى بالسابقين الأولين ، وفي مقدمتهم زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومولاه زيد بن حارثة وابن عمه على بن أبي طالب وكان صبياً يعيش في كفالة الرسول ﷺ وصديقه الحميم أبو بكر الصديق أسلم هؤلاء في أول يوم للدعوة .

ثم نشط أبو بكر في الدعوة إلى الإسلام وكان رجلاً مألُفاً محبباً سهلاً ذا خلقٍ ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه ؛ لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو من يثق به من قومه ممن يغشاه ، ويجلس إليه فأسلم بدعوته عثمان بن عفان والزبير بن عوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ؛ فكان هؤلاء نفر الثمانية الذين سبقوا الناس هم الرعيل الأول وطلبة الإسلام^(١) .

دَارُ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ:

ثم لمَّا أرى الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين ؛ ما بين رجل وامرأة - اختار لهم رسول الله ﷺ دار أحدهم وهو الأرقم بن أبي الأرقم ؛ ليلتقى بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم وكانت حصيلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب أربعين رجلاً وامرأة دخلوا في الإسلام عامتهم من الفقراء والأرقاء ومن لا شأن له بين قريش^(٢) .

الصَّلَاةُ:

ومن أوائل ما نزل من الأحكام الأمر بالصلاة ، قال ابن حجر: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً وكذلك أصحابه ، ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلاة أم لا؟ فقيل: إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها . . انتهى .

وروى الحارث بن أبي أسامة من طريق ابن هبة موصولاً عن زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ في أول ما أوحى إليه أتاه جبريل فعلمه الوضوء ؛ فلما فرغ من الوضوء

(١) الرحيق المختوم ص ٨٠ .

(٢) فقه السيرة للبطوني ص ٧٦ .

أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه ، وقد رواه ابن ماجه بمعناه وروى نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس وفي حديث ابن عباس: وكان ذلك من أول الفريضة .

وقد ذكر ابن هشام أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا إذا حضرت الصلاة ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، وقد رأى أبو طالب النبي ﷺ وعلياً يصليان مرة فكلهما في ذلك ، ولما عرف جلية الأمر أمرهما بالثبات ، وهكذا مرّت ثلاثة أعوام والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد ولم يجهر بها النبي ﷺ في المجمع والنوادي إلا أنها عرفت لدى قريش ؛ وفشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس ، وقد تنكر له بعضهم أحياناً واعتدوا على بعض المؤمنين إلا أنهم لم يهتموا به كثيراً ؛ حيث لم يتعرض رسول الله ﷺ لدينهم ولم يتكلم في آهتهم^(١) .

العبر والعظات:

أهم الله الرسول ﷺ ؛ والإلهام للرسول نوع من الوحي إليه أن يبدأ الدعوة في فترتها الأولى بسريّة وتكثّم ، وأن لا يلقي بها إلا من يغلب على ظنه أنه سيصفي لها ويؤمن بها ؛ تعليماً للدعاة من بعده وإرشاداً لهم إلى مشروعية الأخذ بالحليطة والأسباب الظاهرة ، وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل التي ينبغي أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها على أن لا يتغلب كل ذلك على الاعتماد والاتكال على الله وحده . . وعلى أن لا يذهب الإنسان في التمسك بهذه الأسباب مذهباً يعطيها معنى التأثير والفاعلية في تصوره وتفكيره ؛ فهذا يחדش أصل الإيمان بالله تعالى فضلاً عن أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام^(٢) .

وفي هذا درس لأصحاب الدعوة الإسلامية في كل عصر أن يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة حسبما تقتضيه الظروف وحال العصر الذي يعيشون فيه بما يتفق مع مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الإسلامية .



(١) الرحيق المختوم ٨١ - ٨٢ .

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٧٦ .